سـورة الجاثية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجاثية مكيـة كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة. وقال ابن عـباس وقتادة: إلا آية، هي ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ذكره الماوردي. وقـال المهدوي والنحـاس عن ابن عبـاس: إنها نزلت في عمـر رضي الله عنه، شتـمه رجل من المشركين بمكة قبل الهـجرة. فأراد أن يبطش به، فـأنزل الله عز وجل ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] ثم نسخت (١) بقوله ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف. وهي سبع وثلاثون آية. وقيل ست.

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ مبـتدأ و﴿تَنزِيلُ﴾ خبره. وقـال بعضهم: ﴿حمٓ﴾ اسم السورة. و﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ مبتـدأ. وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ﴾. و﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن. ﴿الْعَزِيزِ﴾ المنيع ﴿الْحَكِيمِ﴾ في فعله وقد تقدم جميعه.

﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي في خلقهما ﴿لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾ يعني المطر. ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تقدم جميعه مستوفى في «البقرة» وغيرها. وقراءة العامة وما يبث من دابة آيات» ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾ بالرفع فيـهما (٢). وقرأ حـمزة والكسائي بكسـر التاء فيهما. ولا خلاف في الأول أنه بالنصب على اسم ﴿إِنَّ﴾ وخبرها ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾. ووجه الكسر في «آيات» الثاني الـعطف على ما عـملت فيه؛ التـقدير: إن في خلقـكم وما يبث من دابة آيات. فـأما الثالث فـقيل: إن وجه النصب فـيه تكرير ﴿آيَاتٌ﴾ لما طال الكلام؛ كمـا تقول: ضرب زيدا زيدا.

(١) لا يوجد في الحقيقة نسخ هنا، والآية محكمة، لأنها نزلت على سبب وهو أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر، فأرسل عبد الله بن أبي غلامه ليستقي الماء، فأبطأ عليه، فلما أتى قال: ما حبسك؟ قال: غلام عمر ما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبـك يأكلك، فبلغ قوله عمر: فـاشتمل بسيـفه يريد التوجه إليه، فنزلـت هذه الآية أسباب النزول (ص ٢٨٢) للواحدي.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

وقيل: إنه على الحمل على مـا عملت فيه ﴿إنَّ﴾ على تقدير حذف ﴿في﴾؛ التقديـر: وفي اختلاف الليل والنهار آيات. فحذفت ﴿في﴾ لتقدم ذكرها. وأنشد سيبويه في الحذف:

أكُلَّ امرئ تَحْسِبين امرأ ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نَارا

فحذف «كل» المضاف إلى نار المجرورة لتـقدم ذكرها. وقيل: هو من باب العطف على عاملين. ولم يجزه سيـبويه، وأجازه الأخفش وجماعـة من الكوفيين؛ فعطف ﴿واخْتِلافِ﴾ على قوله: ﴿وفي خَلْقِكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾ فيـحتاج إلى العطف على عامـلين، والعطف على عاملين قبيح من أجل أن حروف العطف تنوب مناب العامل، فلم تقو أن تنوب مناب عاملين مختلفين؛ إذ لو ناب مناب رافع وناصب لكان رافعا ناصبا في حال. وأما قراءة الرفع فحملا على موضع ﴿إنَّ﴾ مع ما عملت فيـه. وقد ألزم النحويون في ذلك أيضـا العطف على عاملين؛ لأنه عطف ﴿واخْتِلافِ﴾ على ﴿وفي خَلْقِكُمْ﴾، وعطف ﴿آيَاتٌ﴾ على مـوضع ﴿آيَاتٌ﴾ الأول، ولكنه يقـدر عـلى تكرير ﴿في﴾. ويجوز أن يرفع على القطع مما قبله فيرفع بالابتداء، وما قبله خبره، ويكون عطف جملة على جملة. وحكى الفراء رفع ﴿واخْتِلافِ﴾ و﴿آيَاتٌ﴾ جميعا، وجعل الاختلاف هو الآيات.

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

قوله تـعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي هذه آيات الله أي حـججـه وبراهينه الدالة على وحـدانيتـه وقدرته. ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصـدق الذي لا باطل ولا كذب فـيـه. وقرئ «يتلوها» باليـاء. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي بعد حديث الله وقيل: بعد قرآنه ﴿وآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ وقراءة العامة بالياء على الخبر. وقرأ ابن محيصن وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي «تؤمنون» بالتاء على الخطاب [1].

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾

قوله تـعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿وَيْلٌ﴾ واد في جـهنم. توعد مـن ترك الاستـدلال بآياته. والأفاك: الكذاب. والإفك الكذب. ﴿أثيم﴾ أي مرتكب للإثم. والمراد فيما روي: النضر بن الحارث وعن ابن عباس أنه الحارث بن كلدة [2]. وحكى الثعلبي أنه أبو جـهل وأصحابه. ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يعني آيات القرآن. ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي يتمادى على كفره متعظما في نفسه عن الانقياد مـأخوذ من صر الصرة إذا شدها. قـال معناه ابن عباس وغيـره. وقيل: أصله من إصرار الحمار عـلى العانة وهو أن ينحني عليها صـارا أذنيه. و«أن» من «كأن» مخـففة من الثقـيلة؛ كأنه لم يسمعها، والضمير ضمير الشأن؛ كما في قوله:

كأنْ ظَبْيَةً تَعْطُو إلى ناضر السَّلَمْ

ومحل الجملـة النصب، أي يصر مثل غير الـسامع. وقد تقدم في أول «لقمـان» القول في هذه الآية. وتقدم معنى ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في «البقرة».

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٢).

(٢) ضعيف: قال ابن الجوزي (٥/ ٣٥٣) في زاد المسير: «ورواه أبو صالح، عن ابن عباس».

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ نحو قوله في الزقوم: إنه الزبد والتمر وقوله في خزنة جهنم: إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدي. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ مذل مخز. ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي من وراء ما هم فيه من التعزز في الدنيا والتكبر عن الحق جهنم. وقال ابن عباس: ﴿من وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي أمامهم، نظيره ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٦] أي من أمامه. قال:

أليس ورائي إن تراخت منيتي أدب مع الولدان أزحف كالنسر

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي من المال والولد؛ نظيره: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠] أي من المال والولد. ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني الأصنام. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي دائم مؤلم.

﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا هُدًى﴾ ابتداء وخبر؛ يعني القرآن. وقال ابن عباس: يعني كل ما جاء به محمد ﷺ. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي جحدوا دلائله. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ الرجز العذاب؛ أي لهم عذاب من عذاب أليم دليله قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٩] أي عذابا. وقيل: الرجز القذر مثل الرجس؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] أي لهم عذاب من تجرع الشراب القذر. وضم الراء من الرجز ابن محيصن حيث وقع. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحفص ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع؛ على معنى لهم عذاب أليم من رجز. الباقون بالخفض (١) نعتا للرجز.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣ ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذكر كمال قدرته وتمام نعمته على عباده، وبين أنه خلق ما خلق لمنافعهم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ يعني أن ذلك فعله وخلقه وإحسان منه وإنعام. وقرأ ابن عباس والجحدري وغيرهما «جميعًا منه» بكسر الميم وتشديد النون وتنوين الهاء، منصوبا على المصدر. قال أبو عمرو: وكذلك سمعت مسلمة يقرؤها «منه» أي تفضلا وكرما. وعن مسلمة بن محارب أيضا «جميعًا منه» على إضافة المن إلى هاء الكناية. وهو عند أبي حاتم خبر ابتداء محذوف، أي ذلك، أو هو منه. وقراءة الجماعة ظاهرة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ ﴾

(١) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٦٢) .

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ جزم على جواب ﴿قُل﴾ تشبيها بالشرط والجزاء كقولك: قم تصب خيرا. وقيل: هو على حذف اللام. وقيل: على معنى قل لهم اغفروا يغفروا؛ فهو جواب أمر محذوف دل الكلام عليه؛ قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي. ونزلت الآية بسبب أن رجلا من قريش شتم عمر بن الخطاب فهم أن يبطش به. قال ابن العربي: وهذا لم يصح. وذكر الواحدي والقشيري وغيرهما عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمر مع عبدالله بن أبي في غزوة بني المصطلق، فإنهم نزلوا على بئر يقال لها «المريسيع» فأرسل عبدالله غلامه ليستقي، وأبطأ عليه فقال: ما حبسك؟ قال: غلام عمر بن الخطاب قعد على فم البئر، فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه. فقال عبدالله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك. فبلغ عمر رضي الله عنه قوله، فاشتمل على سيفه يريد التوجه إليه ليقتله؛ فأنزل الله هذه الآية. هذه رواية عطاء عن ابن عباس (١). وروى عنه ميمون بن مهران قال: لما نزلت ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج رب محمد! قال: فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه؛ فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول لك: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي، فبعث رسول الله ﷺ في طلبه، فلما جاء قال: «يا عمر، ضع سيفك» قال: يا رسول الله، صدقت. أشهد أنك أرسلت بالحق. قال: فإن ربك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ قال: لا جرم! والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي (٢).

قلت: وما ذكره المهدوي والنحاس فهو رواية الضحاك عن ابن عباس، وهو قول القرظي والسدي، وعليه يتوجه النسخ في الآية. وعلى أن الآية نزلت بالمدينة أو في غزوة بني المصطلق فليست بمنسوخة. ومعنى ﴿يَغْفِرُوا﴾ يعفوا ويتجاوزوا. ومعنى ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي لا يرجون ثوابه. وقيل: أي لا يخافون بأس الله ونقمه. وقيل: الرجاء بمعنى الخوف؛ كقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي لا تخافون له عظمة. والمعنى: لا تخشون مثل عذاب الأمم الخالية. والأيام يعبر بها عن الوقائع. وقيل: لا يأملون نصر الله لأوليائه وإيقاعه بأعدائه. وقيل: المعنى لا يخافون البعث. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قراءة العامة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياء على معنى ليجزي الله. وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر «لنجزي» بالنون (٣) على التعظيم. وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة «لِيُجزَى» بياء مضمومة (٤) وفتح الزاي على الفعل المجهول، ﴿قَوْمًا﴾ بالنصب. قال أبو عمرو: وهذا لحن ظاهر. وقال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوما، نظيره ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة «الأنبياء». قال الشاعر:

ولو وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جروَ كَلْبٍ ... لَسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكلابا

أي لَسُبَّ السب.

---

(١) كذا عند الواحدى من رواية عطاء (ص٣١٩) في أسباب النزول، وكذا رواه ابن الجوزي (٥/ ٣٥٥) في زاد المسير، ولم أهتد إليه مسندًا

(٢) ضعيف جدًا: الواحدى (ص٣١٩) وفيه اليشكري محمد بن زياد وهو متروك.

(٣، ٤) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص١٧٣).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

تقدم.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكم: الفهم في الكتاب. وقيل: الحكم على الناس والقضاء و﴿النُّبُوَّةَ﴾ يعني الأنبياء من وقت يوسف عليه السلام إلى زمن عيسى عليه السلام. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي الحلال من الأقوات والثمار والأطعمة التي كانت بالشام. وقيل: يعني المن والسلوى في التيه. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي على عالمي زمانهم. ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ قال ابن عباس: يعني أمر النبي ﷺ، وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب، وينصره أهل يثرب. وقيل: بينات الأمر شرائع واضحات في الحلال والحرام ومعجزات. ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ يريد يوشع بن نون؛ فآمن بعضهم وكفر بعضهم؛ حكاه النقاش. وقيل: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ نبوة النبي ﷺ فاختلفوا فيها. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي حسدا على النبي ﷺ قال معناه الضحاك. قيل: معنى ﴿بَغْيًا﴾ أي بغى بعضهم على بعض يطلب الفضل والرياسة، وقتلوا الأنبياء؛ فكذا مشركو عصرك يا محمد، قد جاءتهم البينات ولكن أعرضوا عنها للمنافسة في الرياسة [1]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي يحكم ويفصل ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الشريعة في اللغة: المذهب والملة. ويقال لمشرعة الماء ـ وهي مورد الشاربة: شريعة. ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد. فالشريعة: ما شرع الله لعباده من الدين؛ والجمع الشرائع. والشرائع في الدين: المذاهب التي شرعها الله لخلقه. فمعنى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق. وقال ابن عباس: ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي على هدى من الأمر [2]. قتادة: الشريعة الأمر والنهي والحدود والفرائض [3]. مقاتل: البينة؛ لأنها طريق إلى الحق. الكلبي: السنة؛ لأنه يستن بطريقة من قبله من الأنبياء. ابن زيد: الدين؛ لأنه طريق النجاة [4]. قال ابن العربي: والأمر يرد في اللغة بمعنيين: أحدهما: بمعنى الشأن كقوله: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]. والثاني: أحد

(١) انظر: زاد المسير (٥/ ٣٥٥) لابن الجوزي، والأقوال فيه غير مسندة.

(٢) ضعيف: الطبري (٢٥/ ١٥١) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٣، ٤) صحيحان إلى قتادة وابن زيد: الطبري (٢٥/ ١٥١، ١٥٢) في تفسيره.

أقسام الكلام الذي يقابله الذي يقابله النهي. وكلاهما يصح أن يكون مرادا هاهنا؛ وتقديره: ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينهما في الفروع حسبما علمه سبحانه.

الثانية: قال ابن العربي: ظن بعض من يتكلم في العلم أن هذه الآية دليل على أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا؛ لأن الله تعالى أفرد النبي ﷺ وأمته في هذه الآية بشريعة، ولا ننكر أن النبي ﷺ وأمته منفردان بشريعة، وإنما الخلاف فيما أخبر النبي ﷺ عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء هل يلزم اتباعه أم لا؟ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني المشركين. وقال ابن عباس: قريظة والنضير. وعنه: نزلت لما دعته قريش إلى دين آبائه(١).

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي إن اتبعت أهواءهم لا يدفعون عنك من عذاب الله شيئا. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي أصدقاء وأنصار وأحباب. قال ابن عباس: يريد أن المنافقين أولياء اليهود. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي ناصرهم ومعينهم. والمتقون هنا: الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

﴿هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ ابتداء وخبر؛ أي هذا الذي أنزلت عليك براهين ودلائل ومعالم للناس في الحدود والأحكام. وقرئ «هذه بصائر» أي هذه الآيات. ﴿وَهُدًى﴾ أي رشد وطريق يؤدي إلى الجنة لمن أخذ به. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ في الآخرة ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: اكتسبوها. والاجتراح: الاكتساب؛ ومنه الجوارح، وقد تقدم في «المائدة». ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال الكلبي ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة. و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ علي وحمزة وعبيدة بن الحارث ـ رضي الله عنهم ـ حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم. وقيل: نزلت في قوم من المشركين قالوا: إنهم يعطون في الآخرة خيرا مما يعطاه المؤمن؛ كما أخبر الرب عنهم في قوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ استفهام معطوف معناه الإنكار. وأهل العربية

(١) ضعيف: رواه ابن الجوزي (٥/ ٣٥٥) في زاد المسير، وقال: «قاله أبو صالح، عن ابن عباس».

يجوزون ذلك من غير عطف إذا كان متوسطا للخطاب. وقوم يقولون: فيه إضمار؛ أي والله ولي المتقين أفيعلم المشركون ذلك أم حسبوا أنا نسوي بينهم. وقيل : هي ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان . وقراءة العامة «سواءٌ» بالرفع على أنه خبر ابتداء مقدم ، أي محياهم ومماتهم سواء [١]. والضمير في ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ يعود على الكفار، أي محياهم محيا سوء ومماتهم كذلك. وقرأ حمزة والكسائي والأعمش ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب، واختاره أبو عبيد قال: معناه نجعلهم سواء. وقرأ الأعمش أيضا وعيسى ابن عمر ﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾ بالنصب؛ على معنى سواء في محياهم ومماتهم؛ فلما أسقط الخافض انتصب. ويجوز أن يكون بدلا من الهاء والميم في ﴿نَّجْعَلَهُمْ﴾؛ المعنى: أن نجعل محياهم ومماتهم سواء كمحيا الذين آمنوا ومماتهم. ويجوز أن يكون الضمير في ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ للكفار والمؤمنين جميعا . قال مجاهد : المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا ، والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا [٢]. وذكر ابن المبارك أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحا عن مسروق قال: قال رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية كلها.

وقال بشير: بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية فمكث ليله حتى أصبح لم يعدها ببكاء شديد. وقال إبراهيم بن الأشعث: كثيرا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها، ثم يقول: ليت شعري، من أي الفريقين أنت؟ وكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين لأنها محكمة.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالأمر الحق. ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ أي ولكي تجزى. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي في الآخرة. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه؛ فلا يهوى شيئا إلا ركبه [٣].

وقال عكرمة: أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه أو يستحسنه؛ فإذا استحسن شيئا وهويه اتخذه إلها [٤]. قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر؛ فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به

---

(١) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٧٣) .

(٢) صحيح إلى مجاهد الطبري (٢٥/ ١٥٤) في تفسيره .

(٣) الإسناد منقطع إلى ابن عباس ، صحيح إلى قتادة : وانظر: فتح القدير (٦/ ٤٤٣) للشوكاني .

(٤) لم أهتد إليه مسندًا .

وعبد الآخر [١]. وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه [٢]. وقال سفيان بن عيينة: إنما عبدوا الحجارة لأن البيت حجارة. وقيل: المعنى أفرأيت من ينقاد لهواه ومعبوده تعجيبا لذوي العقول من هذا الجهل. وقال الحسن بن الفضل: في هذه الآية تقديم وتأخير، مجازه: أفرأيت من اتخذ هواه إلهه. وقال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار [٣]. وقال ابن عباس: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه، قال الله تعالى ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» [٤]. وقال أبو أمامة: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى» [٥]. وقال شداد بن أوس عن النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» [٦]. وقال عليه السلام: «إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة» [٧]. وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه. والمنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب» [٨].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه؛ فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح. وقال الأصمعي سمعت رجلا يقول:

إن الهوانَ هو الهوى قلبُ اسمه ... فإذا هويتَ فقد لقيتَ هَوانا

وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال: هوان سرقت نونه، فأخذه شاعر فنظمه وقال:

نُونُ الهوانِ مِنَ الهَوى مسروقةٌ ... فإذا هويتَ فقد لقيتَ هَوانا

---

(١) حسن: الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٥٥)، والبغوي (٧/ ٢٤٥) في تفسيره.

(٢) معضل: ابن الجوزي (٥/ ٣٥٦) في زاد المسير.

(٣) ذكره البغوي (٧/ ٢٤٥) في تفسيره.

(٤) قال النووي: «سنده صحيح»، كذا في تخريج الحديث الحادي والأربعين من الأربعين النووية.
قلت: وانظر السنة (١/ ١٣) لابن أبي عاصم.

(٥) موضوع: وهو بغير هذا اللفظ، وذكره الهيثمي (١/ ١١٤) في المجمع وعزاه للطبراني عن أبي أمامة، وفيه الحسن بن دينار وهو متروك الحديث.

(٦) ضعيف: الترمذي (٢٤٥٩) في صفة القيامة، وابن ماجه (٤٢٦٠) في الزهد، وضعفه الألباني هناك.

(٧) ضعيف: أبو داود (٤٣٤١) في الملاحم، والترمذي (٣٠٥٨) في الفتن وضعفه الألباني هناك، عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه.

(٨) حسن: حسنه الألباني (٣٠٤٥) في صحيح الجامع.

وقال آخر:

إنَّ الهَوى لَهُوَ الهوانُ بعينـه ... فإذا هويتَ فقد كسبتَ هَوانا
وإذا هويتَ فقد تعبّدك الهوى ... فاخضعْ لحبك كائنا مَنْ كانا

ولعبدالله بن المبارك:

ومِـنَ البلايا للبـلاءِ عَلامـةٌ ... ألا يُرى لك عن هواكَ نُزوعُ
العَبدُ عبد النفسِ في شهواتها ... والحرُّ يَشْبَعُ تـارةً ويَجُـوعُ

ولابن دريد:

إذا طالبتـك النَّفْسُ يوما بِشَهوه ... وكـان إليهـا والخلافُ طَـريقُ
فَدَعْهَا وخالف مـا هـويـت فإنما ... هَواكَ عَـدوٌ والخلافُ صَـديقُ

ولأبي عبيد الطوسي:

والنفس إن أعطيتها مُنَاها ... فَاغرة نحو هَواها فَاها

وقال أحمـد بن أبي الحواري: مررت براهب فوجـدته نحيفا فـقلت له: أنت عليل. قال نعم. قلت: مذ كم؟ قال: مذ عرفت نفسي! قلت فتداوى؟ قال: قد أعياني الدواء وقد عزمت على الكي. قلت وما الكي؟ قـال: مخالفة الهوى. وقـال سهل بن عبدالله التستري: هواك داؤك. فإن خـالفته فـدواؤك. وقال وهب: إذا شككت فـي أمرين ولم تدر خـيرهـما فـانظر أبعـدهما من هواك فـأته. وللعلماء في هذا الباب في ذم الهـوى ومخالفته كـتب وأبواب أشرنا إلى ما فيه كفـاية منه؛ وحسبك بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على علم قـد علمه منه. وقيل: أضله عـن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه. وقال ابن عباس: أي على علم قد سبق عنده أنه سيضل [1]. مقاتل: على علم منه أنه ضال؛ والمعنى متقارب. وقيل: على علم من عابد الصنم أنه لا ينفع ولا يضر. ثم قيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يجوز أن يكون حالا من الفاعل؛ المعنى: أضله على علم منه به، أي أضله عالما بأنه من أهل الضلال في سابق علمه. ويجوز أن يكون حـالا من المفعول؛ فيكون المعنى: أضله في حال علم الكافر بأنه ضال. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ أي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ، وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى. ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ أي غطاء حتى لا يبصر الرشد. وقرأ حمزه والكسائي «غَشْوةً» بفتح الغين من غير ألف [2] وقال الشاعر:

أما والـذي أنا عَبْـدٌ لـه ... يمينـا ومـالك أبـدى اليمينـا
لئن كنت ألبستني غشوة ... لقد كنت أصفـيتك الودَّ حينـا

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي من بعد أن أضله. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون وتعرفون أنه قادر على ما يشاء.

وهذه الآية ترد على القدرية والإماميـة ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد؛ إذ هي مـصرحة بمنعهم

(١) منقطع: وقد سبق.
(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

من الهداية. ثم قيل﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ إنه خارج مخرج الخبر عن أحوالهم. وقيل: إنه خارج مخرج الدعاء بذلك عليهم؛ كما تقدم في أول «البقرة». وحكى ابن جريج أنها نزلت في الحارث بن قيس من الغياطلة [١]. وحكى النقاش أنها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي ﷺ، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم إنه لصادق! فقال له مه! وما دلك على ذلك!؟ قال: يا أبا عبد شمس، كنا نسميه في صباه الصادق الأمين؛ فلما تم عقله وكمل رشده، نسميه الكذاب الخائن!! والله إني لأعلم إنه لصادق! قال: فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به؟ قال: تتحدث عني بنات قريش أني قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة، واللات والعزى إن اتبعته أبدا. فنزلت: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ .

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ هذا إنكار منهم للآخرة وتكذيب للبعث وإبطال للجزاء. ومعنى: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي نموت نحن وتحيا أولادنا؛ قال الكلبي. وقرئ «ونُحْيَا» بضم النون. وقيل: يموت بعضنا ويحيا بعضنا. وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي نحيا ونموت؛ وهي قراءة ابن مسعود. ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ قال مجاهد: يعني السنين والأيام. وقال قتادة: إلا العمر، والمعنى واحد. وقرئ «إلا دَهْرٌ يمر». وقال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا؛ فنزلت هذه الآية. وقال قطرب: وما يهلكنا إلا الموت؛ وأنشد قول أبي ذؤيب:

أمِن المَنُونِ ورَيْبِها تتوجّعُ والدّهْرُ ليس بمعتب مَنْ يَجْزَعُ

وقال عكرمة: أي وما يهلكنا إلا الله. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر قال الله تعالىَ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» [٢].

قلت: قوله «قال الله» إلى آخره نص البخاري ولفظه. وخرجه مسلم أيضا وأبو داود. وفي «الموطأ» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر» [٣]. وقد استدل بهذا الحديث من قال: إن الدهر من أسماء الله. وقال: من لم يجعله من العلماء اسما إنما خرج ردا على العرب في جاهليتها؛ فإنهم كانوا يعتقدون أن الدهر هو الفاعل كما أخبر الله عنهم في هذه الآية؛ فكانوا إذا أصابهم ضر أو ضيم أو مكروه نسبوا ذلك إلى الدهر فقيل

(١) الغياطلة: لقب لبني قيس بن عدي، والغيطول: الظلمة المتراكمة واختلاط الأصوات والظلمة. اللسان «غطل».

(٢) الأصح وقفه كما فعل الشوكاني (٦/ ٤٤٣) في فتح القدير، وقد ذكره الطبري (٢٥/ ١٥٧) في تفسيره، وذكره ابن كثير (٧/ ٢٠٨)، وقال: «سياقه غريب جدًا».

(٣) متفق عليه: البخاري (٦١٨٢) في الأدب، ومسلم (٢٢٤٦) في الألفاظ من الأدب.

لهم على ذلك: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر؛ أي إن الله هو الفاعل لهـذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر فيرجع السب إليـه سبحانه؛ فنهوا عن ذلك. ودل على صحـة هذا ما ذكره من حديث أبي هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ: « قال الله تبـارك وتعالى يؤذيني ابن آدم. . . » (١) الحديث. ولقد أحسن من قال، وهو أبو علي الثقفي:

يا عاتبَ الدهـرِ إذا نَابَهُ ... لا تَلُمِ الدَّهْرَ على غَدْرِه
الدهرُ مأمورٌ لـه آمـرٌ ... وينتهي الدهرُ إلى أمـرِه
كم كافرٍ أموالُه جَـمّةٌ ... تزداد أضعافاً على كُفـرِه
ومؤمنٍ ليس لـه درهمٌ ... يزداد إيماناً عـــلى فَقْرِه

وروي أن سالم بن عـبد الله بن عمر كـان كثيراً مـا يذكر الدهر فزجـره أبوه وقال: إياك يا بني وذِكْرَ الدهر وأنشد:

فما الدَّهْرُ بالجاني لشيءٍ لخَيْنة ... ولا جالبَ البَلْوَى فلا تشتم الدّهْرَا
ولكن متى ما يبعثُ اللهُ باعثاً ... على مَعْشَرٍ يَجعلْ مياسيرهم عُسْرا

وقال أبو عبـيد: ناظرت بعض الملحدة فقال: ألا تراه يقـول﴿فإن الله هو الدهر﴾؟ فقلت: وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى:

إن محلا وإن مُرتحَـــــلا ... وإنّ في السّفْر إذ مَضَوْا مَهَلاَ
استأثر الله بالوفاء وبالعـد ... ل وولّى الملامـــــةَ الرّجُلاَ

قـال أبو عبـيد: ومن شـأن العرب أن يذمـوا الدهر عند المصـائب والنوائب؛ حتى ذكـروه في أشعارهم، ونسبوا الأحداث إليه. قال عمرو بن قميئة:

رمتني بناتُ الدَّهْر من حيثُ لا أرى ... فكيف بمن يُرْمَى وليس برَامِ
فلو أنها نَبْل إذاً لاتّقيتهـــــــــا ... ولكنني أرْمَى بغير سِهَـــامِ
على الراحتين مرّة وعلى العَصَـــا ... أنُوءُ ثلاثاً بعدهن قيـــامي

ومثله كثـير في الشعر. ينسـبون ذلك إلى الدهر ويضيفـونه إليه، والله سبحـانه الفاعل لا رب سواه. ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي علم. و﴿مِن﴾ زائدة ؛ أي قالـوا ما قالوا شـاكين . ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ أي ما هم إلا يتكلمون بـالظن. وكان المشركون أصنافاً، منهم هؤلاء، ومـنهم من كان يثبت الصانع وينكر البـعث، ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بإنكاره. وحـدث في الإسلام أقوام ليس يمكنهم إنكار البـعث خوفاً من المسلمين؛ فـيتأوّلون ويرون القيـامة موت البـدن، ويرون الثواب والعقـاب إلى خيالات تـقع للأرواح بزعمهم؛ فـشرّ هؤلاء أضرّ من شـر جمـيع الكفار؛ لأن هؤلاء يُلبسُون على الحق، ويُغتر بتلبيسهم الظاهر. والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم. وقيل: نموت ونحيا آثارنا؛ فهـذه حياة الذكـر. وقيل : أشاروا إلى التناسخ ؛ أي يموت الرجل فـتجعل روحـه في موات فتحيا به.

---

(١) متفق عليه : البخاري (٤٨٢٦) في التفسير ، ومسلم (٢٢٤٦) في الألفاظ من الأدب .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين آياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن ثم دفع ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ خبر كان والاسم ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون، فرد الله عليهم بقوله ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني بعد كونكم نطفا أمواتا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كما أحياكم في الدنيا. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله يعيدهم كما بدأهم. الزمخشري: فإن قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته، وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم. أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة. أو لأنه في أسلوب قوله:

تَحِيَّةُ بينهم ضَرْبٌ وَجِيعُ

كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة. والمراد نفي أن تكون لهم حجة البتة. فإن قلت: كيف وقع قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جواب ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ قلت: لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل، وحسبوا أن ما قالوه قول مُبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل وهو الذي يحييهم ثم يميتهم، وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم يوم القيامة، ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائهم، وكان أهون شيء عليه.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ الأول منصوب بـ ﴿يَخْسَرُ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكرير للتأكيد أو بدل. وقيل: إن التقدير وله الملك يوم تقوم الساعة. والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يَخْسَرُ﴾، ومفعول ﴿يَخْسَرُ﴾ محذوف، والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة.

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي من هول ذلك اليوم. والأمة هنا: أهل كل ملة. وفي الجاثية تأويلات خمسة: الأول: قال مجاهد: [1] مستوفزة. وقال سفيان: المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله. الضحاك: ذلك عند الحساب. الثاني: مجتمعة قاله ابن عباس. الفراء: المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين. الثالث: متميزة، قاله عكرمة. الرابع: خاضعة بلغة قريش؛ قاله مؤرج. الخامس: باركة على الركب قاله الحسن. والجثو: الجلوس على الركب. جثا

(١) ذكره ابن الجوزي (٥/ ٣٥٦) في زاد المسير غير مسند، وهو صحيح إلى مجاهد، وابن زيد، كما عند الطبري (٢٥/ ١٥٩) في تفسيره لم أجده مسندًا إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما وأثر الضحاك منقطع عند الطبري.

على ركبتيه يجثو ويجثي جُثُوّا وجُثِيا، على فعول منها، وقد مضى في «مريم». وأصل الجثوة: الجماعة من كل شيء. قال طرفه يصف قبرين:

ترى جُثْوَتَيْن من تراب عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيح مُنَضَّدِ

ثم قيل: هو خاص بالكفار، قاله يحيى بن سلام. وقيل: إنه عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب. وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبدالله بن باباه أن النبي ﷺ قال: «كأني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم»(١) ذكره الماوردي. وقال سلمان: إن في يوم القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إن إبراهيم عليه السلام لينادي «لا أسألك اليوم إلا نفسي»(٢). ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ قال يحيى بن سلام: إلى حسابها. وقيل: إلى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر؛ قاله مقاتل. وهو معنى قول مجاهد. وقيل: ﴿كِتَابِهَا﴾ ما كتبت الملائكة عليها. وقيل كتابها المنزل عليها لينظر هل عملوا بما فيه. وقيل: الكتاب ها هنا اللوح المحفوظ. وقرأ يعقوب الحضرمي «كُلَّ» بالنصب على البدل من ﴿كُلُّ﴾ الأولى لما في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولى، إذ ليس في جثوها شيء من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي إليه وهو استدعاؤها إلى كتابها. وقيل: انتصب بإعمال ﴿تَرَىٰ﴾ مضمرا. والرفع على الابتداء. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر.

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا﴾ قيل من قول الله لهم. وقيل من قول الملائكة. ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ أي يشهد. وهو استعارة يقال: نطق الكتاب بكذا أي بين. وقيل: إنهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا، فكأنه ينطق عليهم، دليله قوله: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. وفي «المؤمنون» ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢] وقد تقدم. و﴿يَنطِقُ﴾ في موضع الحال من الكتاب، أو من ذا، أو خبر ثان لذا، أو يكون ﴿كِتَابُنَا﴾ بدلا من ﴿هَٰذَا﴾ و﴿يَنطِقُ﴾ الخبر. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون. قال علي رضي الله عنه: إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم(٣). وقال ابن عباس: إن الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من أم الكتاب في رمضان كل ما يكون من أعمال بني آدم فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقا لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان. قال ابن عباس: وهل يكون النسخ إلا من كتاب(٤). الحسن: نستنسخ ما كتبته الحفظة على بني آدم، لأن الحفظة ترفع إلى الخزنة

(١) ضعيف: للإرسال، فابن باباه تابعي جليل، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٧٥٩) مرسلاً، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) ضعيف: وقد سبق.

(٣) سنده أحسبه حسنًا كما عند الطبري (٢٥/ ١٦١) في تفسيره

(٤) ضعيف إلى ابن عباس: السابق (٢٥/ ١٦١).

صحائف الأعمـال. وقيل: تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا علـى العبد، ثم إذا عادوا إلى مكانهم نسخ منه الحسنات والسيئـات، ولا تحول المباحات إلى النسخة الثانية. وقـيل: إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب، ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٣١ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾أي الجنة ﴿ذلك هو الفوز المبين. وأما الـذين كفروا أفلم تكـن آياتي تتلى عليكم﴾أي فيـقال لهم ذلك. وهو اسـتفهـام توبيخ. ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾عن قبولها. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾أي مشركين تكسبون المعاصي. يقال: فلان جريمة أهله إذا كان كاسبهم، فالمجرم من أكـسب نفسه المعاصي. وقد قال الله تعالى﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب بالكفر إذا.

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ۝٣٢ ﴾

قوله تـعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾أي البعـث كائن. ﴿وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا﴾وقرأ حـمزة «والساعة» بالنصب [1] عطفا على ﴿وَعْدَ﴾. الباقـون بالرفع على الابتداء، أو العطـف على موضع ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾. ولا يحسن على الضـمير الذي في المصـدر، لأنه غير مـؤكد، والضمـير المرفوع إنما يعطف عليه بغير تأكـيد في الشعر. ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ هل هي حق أم باطل. ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا﴾ تقديره عند المـبرد: إن نحن إلا نظن ظنا. وقيل: الـتقدير: إن نظن إلا أنكم تظنـون ظنا. وقيل: أي وقلتم: إن نظن إلا ظنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أن الساعة آتية.

﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٣ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي ظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي نزل بهم وأحاط. ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من عذاب الله.

﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٣٤ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي نترككم في النار كمـا تركتم لقاء يومكم هذا أي تركتم العمل له. ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مسكنكم ومستقركم. ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ من ينصركم.

---

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن. ﴿هُزُوًا﴾ لعبا. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي خدعتكم بأباطيلها وزخارفها، فظننتم أن ليس ثم غيرها، وأن لا بعث. ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ أي من النار. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يسترضون. وقرأ حمزة والكسائي «فاليوم لا يَخْرُجُون» بفتح الياء وضم (١) الراء لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] الباقون بضم الياء وفتح الراء، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ [فاطر: ٣٧] ونحوه.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قرأ مجاهد وحميد وابن محيصن «ربُّ السموات والأرض وربُّ العالمين» بالرفع فيهما كلها على معنى هو رب. ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي العظمة والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والله أعلم.

ختم تفسير سورة الجاثية، والله أعلم.

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١١٤).